الرسالة

تصدرها
جمعية الدراسات القبطية
نيوجرزي – أمريكا

السنة الرابعة عشر | العدد الرابع : أبريل ١٩٩٥

أختيار البابا
على ضوء تقليد الكنيسة

أسئلة كثيرة ومتعددة حول قانون انتخاب البطريرك أثيرت علناً فى المجلات العامة المصرية منذ بداية هذا العام . دون أن تحاول أى مجلة دينية أن تتدخل فى الحوار ، وكأن الموضوع يخرج عن دائرة الدين . وكانت النتيجة أننا قرأنا أراء شخصية عديدة ومتضاربة ، بعضها ضرب عرض الحائط بتقليد الكنيسة ، والبعض الآخر – مع اتفاقه قلبا وقالبا مع التقليد – قدم كلامه على أنه رأى خاص به وبقطاع كبير من الأقباط . وكان أحد الأفاضل قد كتب من قبل أنه فى أقل من نصف قرن تغيرت لائحة انتخاب البطريرك ستة مرات ! ورغم أنى لا أنكر هذه الحقيقة التاريخية – إلا أن تغيير اللائحة الذى دفعت إليه تيارات مختلفة تعرضت لها المجلة فى مقال سابق[١] – لاينفى حقيقة أخرى وهى أن **الكنيسة لم تترك أعلى درجاتها الكهنوتية ، وأخطر وظائفها بلا تقليد يضمن تسلسل إيمانها الرسولى الذى تسلمته من القديس مرقس الرسول** . وموضوع هذا التقليد هو مانرجو دراسته هنا على ضوء الكتاب المقدس ، وتاريخ الكنيسة على مر العصور ، وقوانين مجامعها المسكونية ، وأقوال آبائها .

وحتى لايستغل أحد كلمات هذا المقال لمصلحة شخصية فى الصراعات الدائرة فى الكنيسة الآن ، أو يظن أننا نتحدث فيه عن حالات معينة ، أبدأ بذكر تعليم متعلق بسر الكهنوت . فمراراً وتكراراً تمت رسامات لإحدى درجاته الثلاث (الأسقف والقس والشماس) بطريقة مخالفة للتقليد (بالسيمونية مثلاً أو بدون أخذ رأى الشعب أو غير ذلك) – هذه الرسامات تعتبر من الناحية الكنسية صحيحة (Valid, but not legal) مادام الشعب قد قبلها ولم يرفضها علانية .

التقليد الكتابى بشأن اختيار البطريرك

وتقليد الكنيسة يبدأ وينتهى دائما بالكتاب المقدس . فحتى المجامع المسكونية نفسها لم ولن تستطيع أن تبتدع عقيدة جديدة ، بل كل عملها هو تحديد الإيمان وشرحه . والكنيسة الأرثوذكسية لا تؤمن بعصمة أحد من الأباء ولابعصمة المجامع المكانية . وعلى هذا فأى قانون وأى تعليم لأحد الأباء ينادى بما يخالف الكتاب المقدس لايمكن اعتباره جزءاً من التقليد الأرثوذكسى .

فى الكتاب المقدس لاتوجد شروط خاصة بإختيار البطريرك ، **لأن البطريرك والمطران والأسقف درجة كهنوتية واحدة هى «الاسقفية»** .

وشروط الأسقف كما جاءت فى الكتاب المقدس (١تى ٣:١-٧ ، تى ١:٦-٩) ان يكون :

١- بلالوم من الناحية الأخلاقية والحياة المسيحية .

٢- زوج امرأة واحدة .

٣- مداوماً وصالحاً للتعليم .

أما كيفية اختياره فنابته من الطريقة التى أتبعها الرسل فى إقامة خدام الكنيسة . فعند اختيار الرسول متياس ، وكذلك اختيار الشمامسة السبعة نلاحظ الإجماع على :

١- اشتراك كل شعب الكنيسة (أع ١:١٥ ، ٢:٥)

٢- الانتخاب (أع ١:٢٣ ، ٣:٥)

هذا وقد استخدمت القرعة بعد الانتخاب فى حالة متياس بينما لم تستخدم إطلاقاً بعدئذ فى الكنيسة الأولى .

عرض تاريخى لإختيار البطريرك الاسكندرى فى القرون الأولى

حتى مجئ القديس ديمتريوس البطريرك الثانى عشر فى نهاية القرن الثانى لم يكن لكرسى الاسكندرية سوى أسقف واحد . وعند وفاة البطريرك كان يجتمع مجمع القسوس (المكون من أثنى عشر قسا) مع جميع الشعب لإختيار خليفة له(٢) . **وقد أختير هؤلاء البطاركة الأوائل أحياناً من القسوس، وأحياناً من عامة الشعب، وأحياناً من رؤساء مدرسة الاسكندرية اللاهوتية.** وعدا هذا ليس لدينا أى معلومات تاريخية عنهم . ويبدو أنه لم تكن هناك أى شروط خاصة سوى التقوى ، كما يتضح أنهم كانوا غالبا كبار السن لأن مدة أسقفيتهم – باستثناء أنينانوس الذى جلس على الكرسى ٢٠ عاماً – تراوحت بين ١١ ، ١٤ عاماً .

ومنذ عهد القديس ديمتريوس الكرام الذى جلس على كرسى مارمرقس مدة ٤٢ عاماً أزداد ارتباط الشعب المسيحى فى مصر بأسقفه . ولعل أهم أسباب ذلك ان فى عهده حدث أول اضطهاد شامل عانى منه المصريون ، وهو اضطهاد الامبراطور ساويرس . وتلا ذلك اضطهادات عديدة لم تخرج منها الكنيسة إلا بمجئ الامبراطور قسطنطين الذى بدأ هو نفسه سلسلة من الاضطهادات الأريوسية استمرت إلى قرب نهاية القرن الرابع . وبعد فترة قصيرة من السلام بدأت اضطهادات البيزنطيين للأقباط على أثر مجمع خلقدونية . هذه الظروف السياسية أعطت البطريرك القبطى مكانة خاصة لدى شعبه فأطلقوا عليه لقب «بابا» من أيام باركلاس البابا الثالث عشر . وبسبب هذه المكانة كانوا فى أغلب الأحوال يجمعون على أختيار تلميذ البطريرك من بعده . الذى كان عادة شماساً أو قساً . وفى أحيان عديدة كان ذلك بتوصية من البطريرك السابق قبيل وفاته . وقد استمرت هذه العادة نحو ثلاثة قرون من أيام البابا ديمتريوس إلى قرب نهاية القرن الخامس حين بدأ اختيار البطريرك من الرهبان .

هل يجوز اختيار البابا من المتزوجين ؟

قبل أن نبحث موضوع اختيار البابا من الرهبان علينا أن نجيب على هذا السؤال الذى أثارته مجلة روزاليوسف فى ٣٠ يناير الماضى بعنوان بارز، ليرد عليه فى العدد التالى من نفس المجلة الدكتور ميلاد حنا بمقال كبير بعنوان «لن يوافق قبطى واحد على زواج البطريرك» قال فيه : «إن الهزار فى المسائل الجد غير مستحب» ولكن بقى أن السؤال قد أثير وعلينا أن نجيب عليه من واقع التقليد الكنسى الذى بدأ برسائل القديس بولس وفيها لايذكر البتولية كشرط من شروط المرشح للأسقفية ، إلا أنها لاتمنع الترشيح . هذا ماحدث فعلا فى القرون الأولى للمسيحية . فكما كان من الرسل المتزوج وغير المتزوج (١كو ٩:٥) كذلك كان الأساقفة . إلا أن الكنيسة الجامعة تدريجيا وجدت أنه من الأفضل تفرغ الأساقفة للخدمة دون أى عائق من الاهتمامات العائلية حسب تعليم القديس بولس (١كو ٧:٣٢،٣٣) ولم يصبح هذا تقليداً عاماً فى الكنيسة قبل القرن الخامس . وكان القديس بفنوتى أسقف طيبة قد أحبط محاولة من بعض أساقفة الغرب فى مجمع نيقية (عام ٣٢٥م) حين حاولوا فرض البتولية على جميع رتب الكهنوت ، حتى المتزوجين منهم عليهم ترك زوجاتهم . وقد احتفظ لنا التاريخ بأقوال القديس فى المجمع التى جاء فيها «إن الزواج مقدس كما يقول بولس الرسول ولو أننا حكمنا اليوم بالبتولية على جميع رتب الكهنوت لسببنا ضرراً للكنيسة بالقيود التى نضعها .. والصلة بين الرجل والمرأة صلة مقدسة ، لذلك وجب علينا أن نحافظ على المبدأ الذى سارت عليه الكنيسة منذ البدأ وهى أن لايتزوج انسان بعد رسامته ..»(٣) . وهنا **يجب أن نلاحظ أن الكنيسة فى القرون الأولى كانت تفضل البتولية فى الأسقف دون أن تفرضها** وذلك بسبب طبيعة الخدمة . وذلك بعكس ماحدث من انحراف الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى بشأن مفهوم الكهنوت كله ، حين علّمت بأنه يغير من طبيعة الكاهن فيصير فى حالة مقدسة تليق بالله الذى يخدمه . لذلك حتمت البتولية حتى على القسوس(٤) . فضلا عن أنه أنحراف فى التعليم المسيحى عن الزواج .

والخلاصة هى أن التقليد السائد فى الكنيسة القبطية بعد القرن الخامس هو اختيار الأساقفة من المتبتلين إلا أن هذا لم يمنع إطلاقاً من اختيار من كان قد تزوج وترمل قبل رسامته كما حدث فى حالة البابا يوحنا السادس البطريرك الرابع والسبعين(٥) . وفى حالة ترشيح القمص يوحنا سلامة للبطريركية فى هذا القرن . فتقليد سارت عليه الكنيسة خمسة عشر قرناً يلزم احترامه ، أما الاستثناء فهو يثبت حرصنا على تعليم الكتاب المقدس بخصوص سرى الكهنوت والزواج .

هل يقتصر انتخاب البابا على الرهبان ؟

لايوجد أى تقليد فى الكنيسة يحدد الفئة التى يختار منها البطاركة ، أو الاساقفة عموما – فقد رأينا منهم العلمانيين والقسوس والشمامسة ، منهم من كان تاجراً أو كراماً أو من عامة الشعب ، مصرياً أو سريانياً . وحين ظهرت الرهبنة ظلت عدة قرون قبل أن تصبح المصدر الرئيسى للأساقفة . وعندما أختير البابا يوحنا الأول (عام ٤٩٦م) ومن بعده البابا يوحنا الثانى (٥٠٥م) من الأديرة كان يلقب كل منهما بالراهب أو الحبيس . فقد كان هذا شيئا جديداً فى الكنيسة وكان الرهبان فى القرون الأولى يلجأون لطرق شاذة للهرب من الرسامة وكانوا يُجرّون من صوامعهم بالسلاسل إلى مقر أسقفياتهم . ومن المفارقات أن تعاليم وقوانين الرهبنة الأصلية تمنع وتحرم بشدة قبول أى درجة من درجات الكهنوت وهو موضوع تعرضنا له من قبل(٦) ونرجو ان نعود إليه لأننا **لانستطيع أن ننكر تقليداً سارت عليه الكنيسة منذ القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع عشر، وسبّب**

الانحراف عنه فى القرن العشرين متاعب لاحصر لها . غير أننا يجب أن نوفق بين تقليد الكنيسة (فى رسامة غالبية الاساقفة والبطاركة من الرهبان) وتقليد الرهبنة الذى يمنعهم من قبول الرسامة حتى فى درجة قس والذى لايُعدّهم إطلاقاً للخدمة فى العالم . وهذا موضوع يحتاج إلى دراسات جادة لأن الراهب الذى لايعرف سوى حياة التأمل ، ولم يتعلم كيف يسوس الكنيسة وكيف يعيش ويعمل بين الناس لايصلح لرعاية الكنيسة وخير منه القس أو العلمانى الذى يعيش وسط العالم .

هل يختار البطريرك بالقرعة ؟

كان البطريرك يُختار عادة فى كنيستنا بإتفاق جميع الشعب إلى أن ذكر تاريخ البطاركة استخدام مايسمى «القرعة الهيكلية» فى أختيار البابا يوحنا الرابع فى القرن الثامن . وذكر أن القرعة ألقيت ثلاث مرات وكانت النتيجة واحدة كل مرة . ولم يذكر قبل ذلك استخدام هذه الطريقة بهذا الشكل وإن كان كلمة قرعة استخدمت مع كلمات «مشاورة الشعب» و «اتفاق الرأى» عند اختيار كردونوس البطريرك الرابع . وقد أستحدث نظام القرعة فى أيامنا منذ أختيار البابا كيرلس السادس عام ١٩٥٩ ولست أدرى إن كانت تكررت بالفعل ثلاث مرات كما حدث فى رواية تاريخ البطاركة .

ويحاول المنادون بنظام القرعة الهيكلية الاستناد إلى حادثة متياس الرسول ناسين أن ذلك حدث قبل حلول الروح القدس على التلاميذ . أما بعد ذلك فلم نسمع عن هذا النظام ولم يأمر الرسل به لأن ذلك يلغى وجود الروح القدس فى كل مؤمن وهو «روح الرب روح الحكمة والفهم . روح المشورة والقوة . روح المعرفة ...» (اش ١١:١) .

وقد أكدت الدسقولية أن يقام الأسقف بإختيار الشعب كله دون أن تذكر شيئا عن القرعة .

هل يوجد فى تقليد الكنيسة مايحدد سن البطريرك أو الأسقف ؟

حددت الدسقولية من شروط الأسقف «ألا يكون عمره دون خمسين سنة» وكنيستنا – وهى الوحيدة من كنائس العالم فى ذلك – تعتبر الدسقولية المصدر الأول لقوانينها . وربما حدثت استثناءات نادرة لعل أشهرها البابا أثناسيوس الذى رسم فى حوالى الثلاثين من عمره . ولكن الاستثناء لايكون القاعدة ، وللأسف لم نسمع عن أثناسيوس آخر من بين الكثيرين الذين رسموا دون الخمسين عاماً .

هل يجوز ترقية الأسقف والمطران ليصير بطريركاً ؟

ليست المسألة عملية ترقية كالوظائف الحكومية . أو صعود فى الدرجات الكهنوتية لأن الأسقف لاينال درجة كهنوتية أعلى من الاسقفية . ولاتوضع عليه اليد من جديد (وإن كان هذا قد حدث مع الاسف الشديد أثناء صلوات إقامة البابا يؤنس التاسع عشر عام ١٩٢٨ وهى أول مرة فى تاريخ الكرازة المرقسية كلها يصبح أسقف إحدى الأبروشيات بطريركا) . والكنيسة محددة بقوانين المجامع المسكونية فى هذا الشأن : فالأسقف ترتبط رسامته بالمكان (الأبروشية) الذى يرسم لرعاية شعبه لأن معنى كلمة أسقف «الناظر من فوق» . كذلك يرتبط القس بالمذبح الذى يرسم عليه . **لهذا منع القانون الخامس عشر لمجمع نيقية «أن ينتقل أسقف أو قس أو شماس من مدينة إلى مدينة»** . وهذا هو نفس مايفعله الأسقف الذى ينتقل ليصير «بابا الاسكندرية» . **والقانون السادس لنفس المجمع المسكونى ثبت سلطة الاشراف على مصر وليبيا والخمس مدن الغربية لأسقف الاسكندرية .** فإذا ذكرنا أن المجمع أصدر هذا القانون خصيصا لمواجهة بدعة ملتيوس أسقف أسيوط الذى أعتبر نفسه بطريركا على الاسكندرية . فإننا نرى أن هذا هو بالضبط مايفعله مطران البحيرة أو أسيوط أو جرجا عندما يصير بطريركا للكرازة المرقسية .

وطوال المدة التى خالفت فيها الكنيسة القبطية التقليد والقوانين المقدسة بخصوص الكرسى البطريركى (١٩٢٨ – ١٩٥٦) لم ينقطع سيل المقالات والبحوث التى كتبها علماء الكنيسة ومؤرخوها فى مهاجمة تلك الأوضاع . من هؤلاء نذكر جرجس فيلوثاؤس عوض ، يسى عبد المسيح ، إيريس حبيب المصرى ، وهيب عطالله (أنبا غريغوريوس حالياً) ، البرت برسوم سلامة ، نظير جيد (قداسة البابا شنودة الثالث) الذى كتب مقالات عديدة من بينها ماجاء فى مجلة مدارس الأحد فى أبريل ١٩٥٤ (ونقله هنا عن مجلة روزاليوسف عدد ١٣ فبراير الماضى) :

«ان قوانين الكنيسة لاتمانع فى اختيار علمانى لمنصب البطريركية فى الوقت الذى تمنع فيه اختيار المطارنة لهذا المنصب» .

وضع الأسقف العام ؟

إذا كان أسقف الأبروشية لايستطيع أن يتركها ليصير بطريركا للاسكندرية فماذا عن الأسقف العام ؟ هذا هو السؤال الحائر الآن والذى يحاول الكثيرون عبثا الإجابه عليه . ولايمكن أن نأخذ إجابة سليمة من الناحية الكنسية قبل أن نُعطى إجابة عن سؤال أكثر خطورة وهو ماهو الأسقف العام ؟ وقد سبق أن سألت هذا السؤال من قبل(٧) . وللآن لم يتطوع أحد من اللاهوتيين فى الكنيسة بعمل بحث فى هذا الموضوع .

وقد استحدث البابا كيرلس السادس نظام الأسقف العام فى سنة ١٩٦٢(٨) فجأة وبدون مقدمات . ورغم رسامة عدد من الأساقفة العموميين بعد ذلك لم نسمع أن الموضوع بحث على أى مستوى كنسى حتى صدرت لائحة المجمع المقدس التى تقررت فى جلسته المنعقدة فى أول يونيه ١٩٨٥

وجاء فيها ذكر الأسقف العام فى البنود رقم ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ . ومنها نعرف أنه «لايحتاج إلى تزكية من شعب» ومهمته مساعدة البابا أو بعض أساقفة الأبرَوشيات ، «ويجوز ترقيته إلى درجة كهنوتية أعلى»(٩) أو «تعيينه أسقفا لكرسى فى إيبارشيه خالية» .

هذه اللائحة صدرت ونشرت وهى القانون فى الكنيسة الآن والذى تسيرعليه . **إلا أن القانون لايصنع التقليد الكنسى . والقانون الذى يتعارض مع التقليد الكنسى يجب أن يُبحث ويعدل إن كان يحتاج إلى تعديل .** فحين قرر المجمع المقدس عام ١٩٢٨ «العمل دائماً بمبدأ وجوب ترقية أحد المطارنة أو الأساقفة إلى رتبة البطريركية عند خلو الكرسى» فأن هذا لم يلغى تقليد الكنيسة الأصلى بعدم جواز ذلك . ولكن المشكلة الآن هى وجود أساقفة بدون أبروشيات . يعلق على ذلك الدكتور منير شكرى قائلاً :

«لم يحدث فى تاريخ الكنيسة القبطية أن منحت الأسقفية لشخص بدون إيبارشية ، أى بدون مجموعة من البشر ينتخبون الأسقف الذى يقوم بخدمتهم ورعايتهم . إنه يكون بمثابة تصور رأس بدون جسد تحيا به ، وأن الدرجة الكهنوتية فى هذه الحالة تعتبر إستحالة قانونية وتسقط فى فراغ»(١٠) .

ورغم أن المؤرخ الكبير بهذا الأسلوب يعبر عن استيائه من وضع جديد فى الكنيسة إلا أننا لانوافق على النتيجة اللاهوتية التى وصل إليها بخصوص استحالة الدرجة الكهنوتية **ولازلنا نصر على وجوب عمل بحوث تاريخية وعقائدية حول وظيفة وسلطة وشرعية وجود الأسقف العام .**

من نصوص لائحة المجمع المقدس ، ومن ملاحظتى المحدودة لأعمال الأساقفة العموميين خلال الثلاثة والثلاثين سنة الماضية ، أستطيع أن أفهم أن الأسقف العام هو أسقف مساعد للبابا (أو لأى من الأساقفة الآخرين يوافق على الاستعانة به) . **ونظام الأسقف المساعد هو أيضا نظام جديد فى كنيستنا استحدثته اللائحة . وهو مخالفة صريحة للقانون الثامن لمجمع نيقية المسكونى الذى جاء فيه «لايجوز أن يكون هناك أسقفان فى مدينة واحدة» .**

لقد آن الآوان أن تبحث هذه الأمور قبل أن ندخل فى دوامة جديدة . فنحن لانعيش الآن فى عام ١٩٦٢ حين كانت الكنيسة مأخوذة بقداسة البابا كيرلس السادس ومعجزاته وتعتبره معصوماً من الخطأ . ولافى عام ١٩٧١ حين تقدم للترشيح لكرسى البطريركية ثلاثة من الاساقفة العموميين ، لهم شخصياتهم القوية ، وتاريخهم الطويل فى خدمة الكنيسة ، وعلمهم الواسع . بحيث لم يخطر فى بال أحد السؤال الذى نسأله الآن بصوت عالٍ ونريد إجابة عليه من واقع التقليد الكنسى وهو :

ماهو الأسقف العام ؟

دكتور رودلف يني

ملاحظات:

(١) **حول اختيار بطريرك الاسكندرية** . الرسالة – مايو ١٩٩٣ .

(٢) **تاريخ البطاركة** للأنبا ساويرس أسقف الأشمونين ، **تاريخ الكنيسة القبطية** للقس منسى يوحنا .

(٣) **تاريخ الكنيسة** لسقراط ١ : ١١ ، **تاريخ الكنيسة** لسوزومين ١ : ٢٣ ، **قصة الكنيسة القبطية** لإيريس المصرى – الجزء الأول ص ١٨١ .

(٤) Daniel Donovan : **Whet Are They Saying About the Ministerial Priesthood.** Paulist Press. P.90.

(٥) **تاريخ الكنيسة القبطية** للقس منسى يوحنا ص ٤٠٩ .

(٦) «مريم .. مريم .. لماذا تتركين النصيب الصالح» – الرسالة – يونية ١٩٨٥ .

(٧) **الأوضاع الكنسية الحاضرة على ضوء تقليد الكنيسة** (نوفمبر ١٩٨١) ، **الرسالة** – السنة التاسعة – يناير ١٩٩٠ .

(٨) يوجد حالتان فى تاريخ الكنيسة رسم فيهما مايسمى «المطران العام» ، الأولى أيام البابا مرقس الثامن (البطريرك ١٠٨) حين رسم الأنبا بطرس الجاولى مطراناً عاماً على الكرسى المرقسى ليساعده فى شيخوخته . ثم أقيم بطريركا فى اليوم الثالث لنياحة الأنبا مرقس . (فوضعه أيام سلفه يعتبر كأسقف مساعد) . والحالة الثانية كانت عندما خلا الكرسى بعد البابا بطرس الجاولى ولم يتمكن الأقباط من رسامة بطريرك بسبب معارضة الخديوى ، فرسم الأنبا كيرلس الرابع مطراناً عاماً إلى أن وافق الخديوى على ترقيته بطريركا . كلتا الحالتين (وهى حالات غير عادية فى تاريخ الكنيسة) تختلفان عن وضع الأسقف العام عندنا الآن الذى أصبح «عاماً» .

(٩) أى مطران أو بطريرك – إلا أنها من الناحية الكهنوتية نفس درجة الأسقفية .

(١٠) **قراءات فى تاريخ الكنيسة المصرية** للدكتور منير شكرى ١٩٩٣ . ص ٦١١ – راجع أيضا **الانسيكلوبيديا القبطية** (Volume 6, P. 1911) .

الرسالة

* صوت الشعب القبطى الصارخ من أجل الكنيسة وتقليدها

* هدف الرسالة الوصول إلى جميع الأقباط فى مصر والمهجر

رئيس التحرير : د. رودلف يني (بنسلفانيا)

هيئة التحرير:

د. بولس عياد عياد (كولورادو) — د. سمير حكيم (المملكة المتحدة)

د. جرجس عبد المسيح ابراهيم (ميدوسوتا) — د. فايق اسحق (تورنتو – كندا)

د. سعد ميخائيل سعد (كاليفورنيا) — د. فوزى جرجس (نيوجرزى)

Society of Coptic Church Studies
P.O.Box 714
E. Brunswick, NJ 08816

Non Profit Org.
U.S. Postage
PAID
Lebanon, Pa 17042
Permit No. 56